Cahiers de Traduction

Volume 32 Issue 02 / Juin 2026 PP 12 -21

دفاتر الترجمة
Cahiers de Traduction

ISSN 1111- 4606
EISSN 2602- 6023

الترجمة الأدبية كإعادة كتابة: الهيمنة الثقافية في ترجمة فيتزجيرالد لرباعيات الخيّام

Literary Translation as Rewriting: Cultural Hegemony in Fitzgerald's Translation of the Rubáiyát of Khayyám

ياسين محمد بلقندوز [1]

جامعة الجزائر 2، معهد الترجمة، Email: yacine.belguendouz@univ-alger2.dz

تاريخ الاستلام: 2026/08/06 **تاريخ القبول: 2026/04/26** **تاريخ النشر 2026/06/10**

ملخص:

يتناول هذا المقال ترجمة إدوارد فيتزجيرالد لرباعيات عمر الخيّام بوصفها نموذجًا لإعادة الكتابة، وفق منظور أندريه ليفيفر الذي يرى الترجمة ممارسة ثقافية وإيديولوجية تتجاوز النقل اللغوي. تنطلق الدراسة من إشكالية مفادها: إلى أيّ مدى خضعت ترجمة فيتزجيرالد لإملاءات النسق الفيكتوري، وكيف تجلّت تلك الإملاءات في استراتيجيات الترجمة ومضامين النص؟ يهدف المقال إلى إبراز العلاقة بين الترجمة وإعادة إنتاج النصوص بما يخدم أهدافًا سلطوية في سياقات الهيمنة، مستندًا إلى نظرية تفيد بأن المترجم يتحرّك داخل منظومات تُوجّهها مؤسسات أدبية وإيديولوجية. وتخلص الدراسة إلى أنّ ترجمة فيتزجيرالد ليست مجرّد ترجمة أدبية، بل إعادة تأليف مشروطة إيديولوجيًا تعبّر عن انصياع لذوق العصر الفيكتوري ومفاهيمه، ما يجعل منها مثالًا على الترجمة بوصفها أداة لإعادة تشكيل صورة الآخر وفق تصوّرات المركزية الغربية.

كلمات مفتاحية: الترجمة الأدبية، إعادة الكتابة، أندريه ليفيفر، رباعيات الخيام، فيتزجيرالد، الهيمنة الثقافية

Abstract:

This article examines Edward FitzGerald's translation of Omar Khayyam's Rubaiyat as a model of rewriting, according to André Lefèvre's perspective, which views translation as a cultural and ideological practice that transcends linguistic transfer. The study starts from the question: to what extent was Fitzgerald's translation subject to the dictates of the Victorian system, and how did those dictates manifest themselves in the translation strategies and content of the text? The article aims to highlight the relationship between translation and the reproduction of texts to serve authoritarian goals in contexts of hegemony, based on the theory that translators operate within systems guided by literary and ideological institutions. The study concludes that Fitzgerald's translation is not merely a literary translation, but an ideologically conditioned rewriting that expresses compliance with Victorian tastes and concepts, making it

[1] **المؤلف المرسل : ياسين محمد بلقندوز**

Cahiers de Traduction
Volume 32 Issue 02/Juin 2026
ISSN 1111- 4606 EISSN 2602-6023

an example of translation as a tool for reshaping the image of the other according to Western centralist perceptions.

Keywords: Literary Translation, Rewriting, André Lefevere, Rubáiyát of Khayyám, FitzGerald, Cultural Hegemony.

مقدمة:

لم تعد الترجمة الأدبية في السياق المعاصر مجرّد عملية لغوية تهدف إلى نقل النصوص بين اللغات، بل غدت ممارسة ثقافية وجمالية معقّدة تسهم في إعادة تشكيل النصوص داخل أطر سياقية مغايرة، وتؤدي دورًا فعّالًا في بناء المعنى وتوجيه الذوق الأدبي والثقافي. تنطلق هذه الرؤية من نظرية "إعادة الكتابة" كما صاغها أندريه ليفيفر(1945–1996) الذي عدّ الترجمة أداة إيديولوجية تُعيد إنتاج النصوص وفق مقتضيات البوطيقا السائدة وشروط السلطة الثقافية في المجتمع المستقبِل.

وفقًا لهذا المنظور، تغدو الترجمة الأدبية فعلًا تأويليًا إبداعيًا يتجاوز حدود النقل اللغوي المحض، لتصبح ممارسة خاضعة لشبكة من التمثيلات التاريخية، والأذواق الجمالية، والبُنى السلطوية التي تُعيد توجيه النصّ الأصلي بما يتوافق مع توقعات القرّاء وسياقات التلقّي في الثقافة المنقول إليها، فهي لا تكتفي بإعادة الصياغة اللغوية، بل تشارك في تشكيل الصورة الثقافية للنصوص والمؤلفين، وفق آليات تتراوح بين التفاوض، وإعادة التموضع، وأحيانًا الإقصاء.

ومن هنا، يبرز التساؤل المحوري الذي يحاول هذا المقال معالجته: كيف تُمارَس الهيمنة الثقافية عبر الترجمة؟ وهل يمكن اعتبار ترجمة إدوارد فيتزجيرالد لرباعيات عمر الخيّام نموذجًا كاشفًا لهذه الدينامية؟

ينطلق المقال من فرضية مفادها أن الترجمة ليست حيادية أو شفافة، بل هي فعل مشروط بأنساق السلطة الجمالية والإيديولوجية، وتخضع لمنطق إعادة الإنتاج الثقافي، فمنذ أن اندرجت الترجمة ضمن اهتمامات الدراسات الثقافية والنقدية، لم تُعد تُقارب كوسيط لغوي فحسب، بل كموقع لإنتاج المعنى، وتشكل الهويات، وإعادة ترتيب العلاقات بين المركز والهامش.

ويُعدّ ليفيفر من أبرز المنظّرين الذين أسهموا في هذا التحوّل المفاهيمي، من خلال تصوره للترجمة باعتبارها "إعادة كتابة"، تُخضع النصوص الأصلية لقوانين السوق الثقافي، وتصورات السلطة، وذائقة الجمهور. وبناءً على هذا الإطار النظري، يعالج هذا المقال ترجمة فيتزجيرالد لرباعيات الخيّام ليس بوصفها مجرّد تحويل لغوي، بل باعتبارها ممارسة إيديولوجية خاضعة لذوق العصر الفيكتوري، وأداة لإعادة تشكيل "الآخر" الشرقي بما يتلاءم مع مخيال الغرب وهيمنته الثقافية.

ويتبنى المقال منهجًا تحليليًا ثقافيًا يُعنى بدراسة السياق الأدبي والإيديولوجي الذي أُنتجت فيه الترجمة، مع التركيز على تمثلات السلطة وإعادة توظيف النص داخل فضاء ثقافي غربي. كما يتوقف عند الأثر غير المباشر الذي تركته هذه الترجمة في أعمال لاحقة، لاسيما في شعر توماس ستيرنز إليوت (Thomas Stearns Eliot)، ليُبرز كيف يمكن للترجمة أن تتحوّل من فعل "نقل" إلى محفّز لإنتاج أدبي جديد يُعيد تشكيل الحدود بين النصوص، والثقافات، والهويات.

Cahiers de Traduction
Volume 32 Issue 02/Juin 2026
ISSN 1111- 4606 EISSN 2602-6023

1. الترجمة وإعادة الكتابة من منظور أندريه ليفيفر:

ظهرت في قلب الدراسات الترجمية المعاصرة مقاربات جديدة، نظرَت إلى الترجمة باعتبارها أكثر من مجرد نقل لغوي. رأت هذه المقاربات في الترجمة فعلًا ثقافيًا وإيديولوجيًا يتشابك مع قوى السلطة ومؤسسات الإنتاج الرمزي. وقدّمت نظرية أندريه ليفيفر مثالًا بارزًا على هذا التوجّه، إذ أعادت تشكيل فهم الترجمة من خلال مفهوم "إعادة الكتابة"، حيث درس ليفيفر إيديولوجيات علاقات القوة التي تتحكم في رعاية الأنظمة الأدبية والثقافية، وفي بوطيقاها، وفي تداخلها مع الترجمة الأدبية.

احتلّ ليفيفر مكانة بارزة بين منظّري الترجمة في النصف الثاني من القرن العشرين. كتب عددًا من الدراسات والكتب، منفردًا وبالاشتراك مع باحثين آخرين. وتطوّر بحثه في الترجمة من خلال علاقته الوثيقة بنظرية الأنساق المتعددة.

ومن هذا المنطلق، لم يتعامل مع الترجمة باعتبارها نشاطًا لغويًا فحسب، بل اعتبرها فعلًا يعيد تشكيل النصوص داخل النظام الأدبي الجديد، ويخضعها لعلاقات أوسع من الإيديولوجيا والثقافة. وسوف يتضح هذا الفهم أكثر عند تناول مفهوم الترجمة بوصفها "إعادة كتابة" في سياق النظام الأدبي.

1.1 الترجمة كإعادة كتابة في سياق النظام الأدبي

تُشكّل الترجمة الأدبية عملية مركّبة تتجاوز البُعد اللغوي المباشر، إذ تستدعي مستوى عاليًا من الدقّة التعبيرية، والكفاءة الإبداعية، إضافة إلى وعي معرفي بثقافة النص الأصلي وبُنيته الجمالية. ويُنظر، في ضوء المقاربات الحديثة، إلى الترجمة باعتبارها فعلًا يعيد إنتاج النص داخل نظام أدبي مغاير، وليس مجرد وسيلة لنقل المحتوى.

وفي هذا السياق، تقترح بيوض (2003: 40) تصنيف الترجمة إلى مرحلتين: أولاهما نقل الأحاسيس والأفكار، وثانيتهما نقل اللغة والثقافة. ووفقًا لهذا التصور، تُمثّل الترجمة الأدبية ممارسة إبداعية تُعيد تأليف النص وفق متطلبات الأفق الثقافي الجديد.

وقد طوّر أندريه ليفيفر هذا التصوّر ضمن ما يُعرف بـ"نظرية الأنساق المتعددة"، حيث يؤكّد أن الترجمة تخضع لشروط النظام الأدبي الذي تُدرج فيه، بما يشتمل عليه من معايير جمالية، ورؤى نقدية، وتوقّعات مؤسساتية وجمهورية. بناءً على ذلك، لا تُعدّ الترجمة مجرّد انتقال بين لغتين، بل ممارسة أدبية وثقافية فاعلة داخل حقل إنتاج المعنى.

ويرى ليفيفر أن الأدب يُشكّل نسقًا مؤسساتيًا متكاملًا يشمل المؤلف، والناشر، والناقد، والمترجم، والقارئ، ويتفاعل المترجم داخل هذا النسق بوصفه فاعلًا يعيد إدماج النصوص الأجنبية في النظام الأدبي المحلي من خلال عمليات إعادة الكتابة والتأويل الثقافي.

ومن أبرز الأمثلة التي يستشهد بها ليفيفر لتوضيح هذا المنظور، ترجمة مسرحية "أرتورو أوي" للكاتب الألماني برتولت بريخت، التي نُشرت بعد وفاته وأسهمت في إعادة إدراجه داخل النظام الأدبي الإنجليزي (2012/1982: 205–206).

ويُبرز هذا المثال الوظيفة التحويلية التي يمكن أن تؤديها الترجمة في إعادة تشكيل القيمة الأدبية لنصّ ما داخل حقل ثقافي جديد. وعلى هذا الأساس، تكتسب الترجمة موقعًا مزدوجًا: فهي من جهة، وسيلة لنقل المعنى، ومن جهة أخرى، أداة لإنتاج نص جديد ينسجم مع خصوصيات النظام الأدبي والثقافي في اللغة المنقول إليها.

Cahiers de Traduction
Volume 32 Issue 02/Juin 2026
ISSN 1111- 4606 EISSN 2602-6023

2.1 الإيديولوجيا والرعاية: آليات التوجيه في الترجمة

يُقدّم أندريه ليفيفر في كتابه « *Translation, Rewriting, and the Manipulation of Literary Fame* » تصورًا راديكاليًا للترجمة بوصفها ممارسة ثقافية مشروطة، تُمارَس ضمن أطر إيديولوجية وسياسية تحددها الثقافة المستقبِلة. فالترجمة، وفقًا له، ليست نشاطًا لغويًا محايدًا، بل تدخل في صلب العلاقات السلطوية التي تُعيد تشكيل البنى الرمزية داخل المجتمع الهدف. وتعكس الاستراتيجيات التي يعتمدها المترجم لتكييف النص مع الثقافة المتلقية السياق الثقافي والإيديولوجي الذي تنتَج فيه الأعمال، كما أن عملية اختيار النصوص لترجمتها تخضع بدورها لمحددات سياسية وثقافية؛ إذ نادرًا ما تكون الترجمة فعلًا بريئًا أو شفافًا. فكل "كتابة معادة"، كما يسميها ليفيفر، تحمل في طياتها رؤى إيديولوجية وبوطقيا محددة، وتُسهم بذلك في تشكيل الوعي الأدبي داخل الثقافة المستهدفة(2011: 15–16) .

ويركز ليفيفر على العوامل التي تتحكم في استقبال النصوص الأدبية، مثل السلطة، والإيديولوجيا، والمؤسسات، التي تُسهم في قبول النص أو رفضه (Munday, 2001: 127) ، فالترجمة قد تُسخَّر لخدمة مصالح إيديولوجية معينة، حيث تُستخدم عمليات إعادة الكتابة لتوجيه المعنى، والتأثير في القيم والمعتقدات التي تتضمّنها النصوص. ويمكن أن يؤدي ذلك إلى تحوير النصوص أو إعادة إنتاجها ضمن أطر جمالية ولغوية تفرضها الثقافة المهيمنة، مما يُضعف إمكانات الاختلاف أو التجديد (ليفيفر، 2011: 16).

وبهذا، تتحوّل الترجمة إلى أداة للضبط الثقافي، إذ تتيح للسلطة إعادة إنتاج النصوص بطريقة تتماشى مع إيديولوجيتها، وتُقصي في الآن ذاته العناصر التي تتنافى مع هذه الرؤية. ويشير ليفيفر إلى أنّ القوى المهيمنة لا تكتفي بإعادة الكتابة بما ينسجم مع القيم السائدة، بل تسعى أيضًا إلى تطبيع هذه النصوص أو "تهذيبها" لتناسب البنية الثقافية القائمة. كما يؤكّد أن من يقوم بعملية إعادة الكتابة – سواء انسجامًا مع السلطة أو في مواجهتها – هم مترجمون أو كتّاب يمتلكون وعيًا نقديًا وفنيًا يُمكّنهم من إعادة تشكيل النصوص وإضفاء دلالات جديدة عليها(Munday, 2001: 128) .

وعلى مستوى البنية المؤسسية، يطوّر ليفيفر (1982/2012: 206) مفهوم "الرعاية"(Patronage) الذي يشير إلى التأثير الذي تمارسه الهيئات الثقافية والتنظيمية – مثل دور النشر، والمؤسسات الإعلامية، والسوق الأدبية – في توجيه حركة الترجمة. وتتجلّى هذه الرعاية في ثلاثة أبعاد رئيسة:

- البعد الإيديولوجي، الذي يفرض انسجام الترجمة مع القيم الثقافية السائدة؛
- البعد الاقتصادي، الذي يشترط قابلية العمل للانتشار والتسويق؛
- البعد الاجتماعي، المتعلق بمكانة الكاتب وشهرته ضمن النظام الأدبي الجديد.

ويشير ليفيفر إلى أن هذه الرعاية نادرًا ما تُمارَس بشكل مباشر، بل تتحقق غالبًا من خلال وسطاء، كالنقّاد أو الناشرين. بناءً عليه، تُفهم الترجمة بوصفها ممارسة تخضع لبنية مؤسساتية معقّدة تعيد تشكيل النصوص وتُكيّفها مع متطلبات السياق الثقافي الذي تُدرج فيه. فهي لا تعكس النص الأصلي بقدر ما تعيد إنتاجه وفق اشتراطات النظام الأدبي الجديد، لتغدو أداة فاعلة في صياغة الذوق العام وتوجيه آليات التلقّي.

Cahiers de Traduction
Volume 32 Issue 02/Juin 2026
ISSN 1111- 4606 EISSN 2602-6023

ويمثل هذا الإطار النظري مدخلًا ضروريًا لفهم ترجمة إدوارد فيتزجيرالد لرباعيات عمر الخيّام، ليس فقط باعتبارها عملاً أدبيًا مُترجمًا، بل كحالة نموذجية لإعادة إنتاج نص "شرقي" داخل نظام أدبي فيكتوري تحكمه محددات إيديولوجية وثقافية دقيقة. وتُظهر هذه الحالة كيف تتقاطع آليات الترجمة مع مفاهيم السلطة وإعادة تشكيل الرمزي، بما يجعلها ممارسة تتجاوز النص لتُسهم في هندسة التمثيل الثقافي ذاته.

2. رباعيات الخيّام وفيتزجيرالد: حالة نموذجية لإعادة الكتابة

تُعدّ ترجمة الشاعر والمترجم الإنجليزي إدوارد فيتزجيرالد (1809–1883) لرباعيات عمر الخيّام من أبرز النماذج التي تستدعي التأمل في حقل الترجمة الأدبية، لما تنطوي عليه من إشكاليات تتعلق بمفهومي الأمانة والحرية في الترجمة، وأثر السياق الثقافي في إعادة إنتاج النصوص.

وقد شكّلت هذه الترجمة محور اهتمام عدد من منظّري الترجمة المعاصرين، وفي مقدّمتهم أندريه ليفيفر، الذي نظر إليها بوصفها مثالًا حيًّا على الترجمة باعتبارها «إعادة كتابة»؛ أي ممارسة تتجاوز النقل الحرفي للمعنى لتُعيد تشكيل النص وفق محددات أيديولوجية وجمالية تفرضها الثقافة المستقبِلة.

وانطلاقًا من هذا التصور، نسعى إلى تحليل ترجمة فيتزجيرالد بوصفها نصًا أدبيًا جديدًا مستقلًا، فاعلًا في فضاء ثقافي مغاير، لا مجرد انعكاس لغوي للنص الفارسي الأصلي. ويقتضي هذا التناول الوقوف على التحويرات الدلالية التي طرأت على الرباعيات نتيجة انتقالها بين لغتين وثقافتين مختلفتين.

وتحقيقًا لذلك، ستتمّ مقارنة أحد المقاطع من ترجمة فيتزجيرالد الإنجليزية بترجمة عربية مباشرة عن الأصل الفارسي، بهدف الكشف عن طبيعة التحولات التي لحقت بالنص، وقراءة دلالاتها من خلال منظور الذوق الأدبي، والسلطة الرمزية، وتمثلات الثقافة في كلٍّ من السياقين.

1.2 الرباعيات بين الأصل الفارسي وإملاءات الذوق الفيكتوري

تُعدّ ترجمة المترجم محمد السباعي من الفارسية إلى العربية أحد النماذج اللافتة في مقاربة رباعيات عمر الخيّام، لما تنطوي عليه من وعي ثقافي ولغوي متجذّر في البيئة العربية، بخلاف ترجمة إدوارد فيتزجيرالد التي استندت إلى مصادر وسيطة وغير مباشرة.

وتمنح هذه الخصوصيةُ لترجمة السباعي بعدًا نقديًّا مغايرًا، إذ تقاوم، ضمنيًا، هيمنة التصورات الغربية عن الشرق، وتسعى إلى إحياء صوت الخيّام الأصلي داخل نسق بلاغي عربي لا يستعير أدوات المخيال الاستشراقي أو ينزلق إلى قوالبه الجاهزة.

ومن الأمثلة الدالّة على هذا التوجّه، نقرأ في مفتتح الترجمة كما ورد عند المترجم محمد السباعي(29 :2009) :

غرد الطير فنبه من نعس

وأدر كأسك فالعيش خلس

Cahiers de Traduction
Volume 32 Issue 02/Juin 2026
ISSN 1111- 4606 EISSN 2602-6023

سل سيف الفجر من غمد الغلس

وانبرى في الشرق رام أرسلا

أسهم الأنوار في هام القلاع

تُفعّل هذه الأبيات صورًا شعرية مألوفة في الثقافة العربية الإسلامية: الطير، السيف، الغلس، الرامي، القلاع. وتمنحها هذه المرجعيات طابعًا بلاغيًا عربيًا أصيلًا، يعيد إنتاج المجاز الشعري في لغة لا تنفصل عن حسيّتها وسياقها الجمالي. كما تحافظ الترجمة على النزعة الوجودية التأملية التي تميّز شعر الخيّام، من دون اللجوء إلى ترميز مبالغ فيه أو تأويل قسري. في المقابل، تقترح ترجمة فيتزجيرالد للمقطع ذاته مشهدًا شعريًا مشبعًا بذوق العصر الفيكتوري وخياله الرمزي، كما في النسخة المنشورة عام 1859:

Awake! for Morning in the Bowl of Night
Has flung the Stone that puts the Stars to Flight
And Lo! the Hunter of the East has caught
The Sultan’s Turret in a Noose of Light.

في هذا المشهد، يتجسّد الفجر بوصفه كائنًا واعيًا يقذف "حجرًا" في "وعاء الليل" لطرد النجوم، قبل أن يمسك "صيّاد الشرق" بـ"برج السلطان" في "أنشوطة من نور". لا تستند هذه البنية المجازية إلى المخيال الفارسي بقدر ما تعبّر عن تمثّل استشراقي كثيف، يسعى إلى تشكيل شرق شاعري، ساحر وغريب، يتناغم مع الذوق الفيكتوري الرومانسي وينسجم مع الانطباعات الأوروبية المسبقة عن الشرق.

تعكس ترجمة فيتزجيرالد تحويرًا ثقافيًا واضحًا، يتمثّل في إعادة كتابة الرباعيات بما يخدم الحساسية الجمالية الفيكتورية ويكرّس الرؤية الاستشراقية، فمفردات مثل Turret و Noose of Light تسهم في تشكيل صورة شاعرية لشرق متخيّل، تتجاوز النزعة التأملية والفلسفية في شعر الخيّام، لصالح بعد رمزي يخضع لمتطلبات التلقي الغربي.

في المقابل، تقترح ترجمة محمد السباعي استعادة للشعرية الفارسية في إطار بلاغي عربي، حيث يُعاد تشكيل الصور والمجازات بلغة تنتمي إلى التقليد الجمالي الشرقي، مع الحفاظ على البعد الفلسفي التأملي للنص الأصلي.

ينهض هذا التوجّه على وعي ثقافي ينأى عن استنساخ المخيال الاستشراقي، ويسعى إلى إبراز الخيّام في أفق قرائي ينتمي إلى الثقافة العربية الحديثة. ومن هذا المنظور، يرى أندريه ليفيفر أن الترجمة ليست مجرد نقل لغوي محايد، بل هي فعل ثقافي وإيديولوجي يعيد كتابة النص وفق شروط تفرضها الثقافة المستقبِلة. بناءً على هذا التصوّر، فإن فيتزجيرالد والسباعي لم يكتفيا بنقل الرباعيات، بل قاما بإعادة إنتاجها ضمن أطر رمزية وجمالية تتلاءم مع أنساق التلقي الخاصة بكل منهما، مما يؤكد أن الترجمة تتقاطع بالضرورة مع خطابي السلطة والتمثيل .

Cahiers de Traduction
Volume 32 Issue 02/Juin 2026
ISSN 1111- 4606 EISSN 2602-6023

لقد أنجز إدوارد فيتزجيرالد ترجمة حرّة لرباعيات عمر الخيّام، وهو ما يتجلّى بوضوح في رسالة أرسلها عام 1857 إلى أستاذه في اللغة الفارسية، كويل(Cowell) ، صرّح فيها قائلًا:

" إنه من التسلية بمكان أن أتّخذ ما أشاء من الحريات من هؤلاء الفرس، الذين هم – حسب اعتقادي – ليسوا شعراء بأتمّ معنى الكلمة كي يخيفوا المرء من الزَّيغ، فهم بحاجة ماسّة إلى قليل من الفنّ لصياغة أعمالهم" (Lefevere, 1992 : 80) .

تكشف هذه العبارة عن موقف استعلائي تجاه الأدب الفارسي، إذ يُفهم منها أن فيتزجيرالد لم يكن يرى في الخيّام شاعرًا جديرًا بأن يُراعى نصّه الأصلي بدقة ووفاء.

من هذا المنطلق، يمكن اعتبار ترجمة فيتزجيرالد عملية إعادة كتابة إبداعية تندرج ضمن منطق التكييف الثقافي، إذ سعى إلى صوغ الرباعيات بأسلوب يتلاءم مع الذوق الفيكتوري، ويمتثل لحساسية القارئ الإنجليزي في القرن التاسع عشر. وقد منح الترجمة نغمة متجانسة، وإيقاعًا خاصًا، بل وأعاد بناء بعض المقاطع بما يخدم القيم الجمالية والأخلاقية السائدة في مجتمعه.

غير أن هذا الإجراء، وإن اتُّخذ باسم الإبداع، لم يكن محايدًا بأي حال؛ فقد استبعد كثيرًا من الجماليات الأصلية، وحرّف الصور البيانية، وأغفل المعاني الدقيقة الكامنة في النص الفارسي، لصالح منظومة رمزية مغايرة تمامًا(Nakhaei, 2019: 5) .

ويُلاحظ، كما يشير ليفيفر، أن فيتزجيرالد مارس حريته في إعادة الكتابة انطلاقًا من تصور تفوقي تجاه الأدب الغربي، وهو ما منحه الجرأة على التصرّف بحرّية مطلقة في النص الفارسي، حرية لم يكن ليتمتع بها لو كان يتعامل مع نص ينتمي إلى التراث اليوناني أو الروماني، مثل أعمال هوميروس أو فيرجيل(Lefevere, 1992: 6) .

في هذا الإطار، تُجسّد ترجمة فيتزجيرالد بُعدًا أيديولوجيًا يرتبط بالهيمنة الاستعمارية الغربية، حيث اعتُبر النص الشرقي كيانًا أدبيًا قابلًا للتطويع والتدجين، يتعيّن إعادة تشكيله بما ينسجم مع الرؤية المركزية الأوروبية لبقية العالم.

وقد وصف دوغلاس روبنسون (Robinson, 1997: 55) هذا النمط من الترجمة بقوله إن المترجم تصرّف "بمثابة فاتح قاد النص الأصلي أسيرًا إلى لغته الأم"، في إشارة إلى البعد القهري في عملية الترجمة. ولهذا السبب، أطلق بعض النقّاد على هذه الترجمة اسم "FitzOmar"، في تلميح ساخر إلى مدى تدخّل المترجم في النص وهيمنته عليه.

نتيجة لذلك، تحوّل النص المترجم إلى تجلٍ لخطاب أيديولوجي مبطّن، حيث جرى تهميش البُعد الصوفي والفلسفي الإسلامي الذي يميز رباعيات الخيّام، لصالح تأويلات تخضع لمنطق التكييف الثقافي الغربي (Nakhaei, 2019: 12) .

وتُعدّ هذه الترجمة مثالًا بارزًا على كيفية استخدام الترجمة كأداة للهيمنة الثقافية، وإعادة صياغة النصوص بما يعزز السردية المركزية للتفوّق الأوروبي. وبناءا على ذلك، يُنظر إلى المترجم، بوصفه معيد كتابة، على أنه يمتلك سلطة ثقافية هائلة تمكّنه من تهميش المؤلف الأصلي، بل وحتى إقصائه تمامًا، عبر استراتيجيات كالترجمة الحرة، أو التلخيص، أو الإيجاز، أو ما يُعرف بالتطبيع. وغالبًا ما تُبرَّر هذه التدخلات بحجج جمالية كـ"الحفاظ على الطلاقة" أو "تفادي التعقيد"، في حين أنها تخدم في جوهرها توجهات أيديولوجية خفية(Hatim & Munday, 2004: 93) .

Cahiers de Traduction
Volume 32 Issue 02/Juin 2026
ISSN 1111- 4606 EISSN 2602-6023

إن هذه المقارنة تُبرز الطابع غير المحايد للترجمة، مؤكدة أنها لا تُنجز في فراغ ثقافي، بل تتشكّل ضمن سياقات أيديولوجية وجمالية محددة. فالمترجم لا يُعدّ مجرّد ناقل للمعاني بين لغتين، بل هو فاعل ثقافي يعيد إنتاج النص وفق منطق السلطة، ومعايير الذوق، وأفق التلقي السائد في الثقافة الهدف.

2.2 الترجمة كأثر خفي: رباعيات الخيّام في نسيج إليوت الشعري

على الرغم من الطابع الإيديولوجي الذي طبع ترجمة إدوارد فيتزجيرالد لرباعيات عمر الخيّام، فقد أسهمت هذه الصيغة الفيكتورية المعاد كتابتها في إشاعة النص على نطاق عالمي، مُضفية عليه هالة من الشهرة جعلته جزءًا من الذاكرة الأدبية العالمية. وقد ألهمت هذه الترجمة أجيالًا متعاقبة من الشعراء والكتّاب، في الشرق والغرب على حد سواء. ويُبرز هذا الامتداد التأثيري أحد الوجوه الإيجابية الكامنة في فعل *إعادة الكتابة*، وهو مفهوم يتجاوز حدود الترجمة الضيقة ليشمل كذلك كتابة السيرة، واختيار المختارات، والنقد، والتحرير الأدبي. غير أنّ الترجمة تظلّ أكثر هذه الأشكال قوةً وتأثيرًا، نظرًا لما تمنحه من سلطة لإعادة تقديم الكاتب ونصّه بلغة وثقافة مختلفتين، وبصورة قد تتجاوز الأصل في التلقي والانتشار(Munday, 2001: 128) .

وفي هذا الإطار المفاهيمي، يرى الشاعر والأديب المكسيكي أوكتافيو باث (Octavio Paz) أن الترجمة فعل إبداعي تحويلي، فيما يشبّهها الشاعر البرازيلي هارولد دي كامبوس (Haroldo de Campos) بعملية "نقل دم" تمنح المترجم حياة جديدة، وتتيح له الدخول في حوار حيّ مع النص، حيث يغدو في آنٍ واحد قارئًا بصيرًا وكاتبًا خلاّقًا. ومن هذا المنطلق، تساهم الترجمة في تجديد الأدب داخل اللغة المستقبِلة، عبر إدخال أشكال وأصوات وأساليب تعبيرية لم تكن مألوفة من قبل. أما الكاتب والشاعر الألماني يوهان جوتفريد هردر (Johann Gottfried Herder)، فيقدّم طرحًا أكثر جذرية، إذ يرى أن الترجمة، متى ما كانت مبدعة، يمكن أن تُنتج نصوصًا كلاسيكية قائمة بذاتها، شرط أن يتحلّى المترجم بحس جمالي وعبقرية لغوية تمكّنه من تحقيق توازن دقيق بين أمانة المعنى وحرية التعبير في الثقافة المستقبلة (Berman, 1995: 68).

ومن هذا المنظور، تُعدّ الترجمة مرآةً لثراء النص الأصلي ومرونته الدلالية، إذ إن تعدّد الترجمات وتباينها، كما هو الحال مع *عطيل* لشكسبير أو *الشيخ والبحر* لهمنغواي، يكشف عن سعة المعنى وإمكانية إعادة إنتاجه وفق رؤى وسياقات ثقافية متجددة.

وعليه، يمكن النظر إلى الترجمة بوصفها شكلًا من أشكال *إعادة التأويل*، لا تكرّر النص، بل تعيد خلقه من منظور جديد، محمّل برسائل قد تتقاطع مع الأصل أو تنزاح عنه، بل وقد تصل إلى حد تقويض أنماط التمثيل المهيمنة التي يفرضها ما يُعرف بـ"المركز الأدبي العالمي" (Kee Mew, 2009: 6) ، فليست الترجمة مجرّد وسيلة للنقل، بل أداة لإعادة توزيع رمزية السلطة والمعرفة، والمشاركة في صياغة مشهد ثقافي بديل. ومع ذلك، فإن الترجمة ليست وحدها الفاعل في حقل إعادة الكتابة؛ فقد مارستها القوى السياسية والحضارية، من ملوك وسلاطين ومؤرّخين، منذ العصور القديمة، لاسيّما في إعادة تدوين التاريخ وصناعة المعرفة.

Cahiers de Traduction
Volume 32 Issue 02/Juin 2026
ISSN 1111- 4606 EISSN 2602-6023

ويكفي أن نشير إلى ما شهدته أوروبا في القرن الثامن الميلادي من موجة "تنقيح" للنصوص العلمية والفلسفية والأدبية، تم خلالها حذف أو إغفال الإشارات إلى الأصول الشرقية أو العربية، في محاولة لإقصاء المساهمات غير الأوروبية وإعادة تشكيل المعرفة بما يخدم مركزية السردية الغربية.

وفي ضوء هذا الإطار، يمكن فهم ترجمة فيتزجيرالد لرباعيات الخيّام كأحد أبرز تمثلات *إعادة الكتابة الإيديولوجية*، إذ لم تقتصر على ترجمة شعر صوفي فارسي، بل صاغته وفق أفق ذوقي فيكتوري جعل منه نصًا جديدًا مستقلًّا، قادرًا على التأثير والتغلغل في الأدب الغربي الحديث.

وقد وجدت هذه الرباعيات، بصيغتها الجديدة، صدى عميقًا في نسيج قصيدة *الأرض الخراب* (The Waste Land) *سنة* 1922 للشاعر الأمريكي ت. س. إليوت، التي تُعدّ من أبرز معالم الشعر الحداثي، إذ تتّسم *الأرض الخراب* ببنية شعرية معقّدة، تتشابك فيها الأزمنة والأصوات والرؤى، وتُستدعى فيها رموز من التراثين الشرقي والغربي، القديم والحديث، ضمن نسيج حواري يجسّد صراعًا داخليًا بين التجديد والتقليد، ويعكس قلق الحداثة في أوج تمزّقه الروحي (الفيا، 2009).

وعلى الرغم من وجود تماهٍ جلي بين روح الرباعيات ونبرة القصيدة، لاسيما على مستوى التأمل والتشاؤم والرؤية الفلسفية الوجودية، فإن إليوت لا يُصرّح بهذا المصدر، لا في متن قصيدته ولا في هوامشها التفسيرية، ويفضّل بدلًا من ذلك الإحالة إلى أعمال أوروبية مثل *الكوميديا الإلهية* لدانتي.

ويُثير هذا الإغفال المتعمّد تساؤلات نقدية وثقافية حول اختيار إليوت لمصادره، وعن الكيفية التي تم بها استيعاب الشرق في الأدب الغربي دون الاعتراف به، إذ يمكن تفسير هذا الصمت ضمن سياق أوسع من النزعة الانتقائية والتحفّظ الثقافي الذي طبع بداية القرن العشرين، حيث ساد اتجاه يُعلي من المرجعيات الغربية ويُقصي التأثيرات الشرقية، حتى حين تكون حاضرة بوضوح في النصوص. ومن ثمّة، فإن تغييب الرباعيات في السياق الإليوتي، رغم أثرها الجليّ، ليس سوى وجه من وجوه التحيّز الحضاري الذي ساد أدب الحداثة الغربية، وأعاد توزيع الفضل الثقافي بما يخدم التمركز الأوروبي ويهمّش دور الآخر الشرقي في إثراء الإبداع العالمي.

3. خاتمة:

تُبيّن نظرية أندريه ليفيفر في الترجمة بوصفها "إعادة كتابة" أن فعل الترجمة ليس بريئًا ولا محايدًا، بل هو ممارسة مشروطة بشبكات من السلطة، والإيديولوجيا، والجماليات التي تتحكّم فيما يُنتج ويُستهلك داخل النظام الأدبي. وفي هذا الإطار، تشكّل ترجمة إدوارد فيتزجيرالد لرباعيات عمر الخيام نموذجًا كلاسيكيًا لإعادة الكتابة المؤدلجة، حيث لم تكتفِ الترجمة بإيصال النصّ الأصلي إلى القارئ الغربي، بل أعادت تشكيله وفق الذوق الفيكتوري، وضمن شروط ثقافية أُقصي فيها السياق الفارسي الشرقي، لصالح تمثّلات الغرب عن الآخر. لقد أُعيد إنتاج الخيام، لا كشاعر فارسي صوفي، بل كمفكّر وجودي قريب من روح العصر الفيكتوري، وهو ما يكشف عن آلية إعادة تشكيل "الآخر" بما يناسب مخيال المركز الغربي. ومع أنّ هذه الترجمة أسهمت في إحداث أثر عميق داخل الأدب الإنجليزي، وألهمت شعراء مثل ت. س. إليوت، إلا أنّها في الوقت نفسه تُعدّ مثالًا على كيفية اشتغال الهيمنة الثقافية

Cahiers de Traduction
Volume 32 Issue 02/Juin 2026
ISSN 1111- 4606 EISSN 2602-6023

من خلال الترجمة، عبر تقنيات محو الأصل، وإعادة صوغه بصوت المركز. يؤكّد هذا المثال أن الترجمة ليست مجرّد وسيلة لنقل المعاني، بل أداة لإنتاج رمزي تُعيد تشكيل النصوص بما يخدم علاقات القوة. وتظلّ الحاجة قائمة إلى قراءة نقدية للترجمات، لا بوصفها أعمالًا لغوية فقط، بل كخطابات ثقافية تعبّر عن رهانات سياسية وجمالية عابرة للّغات. من هنا، فإن تفكيك ترجمة رباعيات الخيام يُتيح لنا فهمًا أوسع لعلاقة الترجمة بالسلطة، ويدعونا إلى مساءلة ما يُترجم، وكيف، ولمن، ولماذا.

4. قائمة المراجع:

المراجع العربية

- بيوض، إنعام .(2003) .*الترجمة الأدبية: مشاكل وحلول* .بيروت: دار الفارابي.
- الفيا، ع. م. (2009). أصداء رباعيات الخيام في شعر تي. إس. إليوت. المجلة الثقافية، (57)، 1 يناير.
- السباعي، م .(2009) .*رباعيات عمر الخيام: الترجمة عن الفارسية* (الطبعة الرابعة). مصر: المكتبة التجارية الكبرى.
- ليفيفر، أندريه .(2011) .*الترجمة وإعادة الكتابة والتحكم في السمعة الأدبية* (ترجمة فلاح رحيم). بيروت: دار الكتاب الجديد المتحدة.

المراجع الأجنبية

- Berman, A. (1995). *L'épreuve de l'étranger: Culture et traduction dans l'Allemagne romantique*. Paris: Gallimard.
- FitzGerald, E. (1859/1997). The Rubáiyát of Omar Khayyám (Original ed. 1859). Penguin Classics.
- Hatim, B., & Munday, J. (2004). *Translation: An advanced resource book*. London: Routledge.
- Kee Mew, E. (2009). *La traduction post-coloniale: Le cas de Maurice*.
- Lefevere, André (1982/2012): Mother Courage's cucumbers: text, system and refraction in a theory of literature. In: Lawrence Venuti, ed. The Translation Studies Reader. 3rd ed. London and New York: Routledge, 203-219
- Lefevere, A. (1992). *Translation, rewriting, and the manipulation of literary fame*. London & New York: Routledge.
- Munday, J. (2001). *Translation studies: Theories and applications* (1st ed.). London: Routledge.
- Nakhaei, B. (2019). The Impact of Power and Ideology on Edward FitzGerald's Translation of the Rubáiyát: A Postcolonial Approach. TranscUlturAl, 11(1): 35-48. https://journals.library.ualberta.ca/tc/index.php/tc
- Robinson, D. (1997). *Translation and empire: Postcolonial theories explained*. Manchester: St. Jerome Publishing.